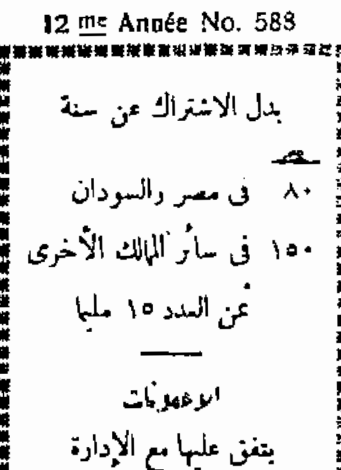
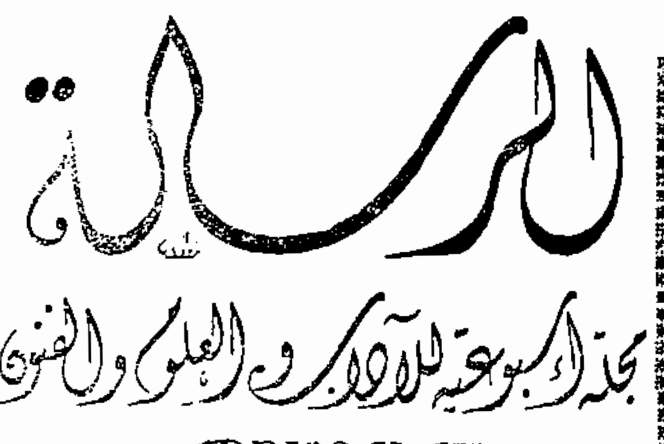
12 me Année No. 588





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 9 - 10 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤» العـــدد ٥٨٨

الفهـــرس

أميـــة المتعلمين

للدكتور محمد مندور

نحن فى حاجة إلى أن نكافح ببلادنا ثلاثة أنواع من الأمية : الأمية الأبجدية والأمية العقلية وأمية المتعلمين . ولا بد إذا أريد لهذا البلد الصلاح من أن نكافح الأنواع الثلاثة معاً ، وساقاً بساق فى شبه ثورة اجتماعية تجند لها جميع القوى قسراً

فأما الأمية الأبجدية فتلك فى الحقيقة أهونها ، لأن تعليم فك الخط ليس بالأمر العسير ، وإن تكن هناك ظاهرة تستحق النظر . فلقد اتفق لكاتب هذه السطور أن رأى صبية التعليم الإلزامى يطالعون دون أن يخطر ببالهم أن المطالعة إنما تكون لفهم ما نطالع أو محاولة ذلك الفهم . وأنا بعد لا أدرى سر هذه الغفلة ، وإن كنت أميل إلى التفاؤل ، إذ يخيل إلىّ أن محو الأمية الأبجدية عند الأطفال كسب حقيقى ، فهم إذا كانوا عاجزين عن أن يستفيدوا بما تعلموا من مبادئ القراءة والكتابة فلا أظن ذلك مانعاً لهم عند الكبر وتفتح النفس من أن يهتدوا إلى أن القراءة إنما جعلت للفهم والإلمام بما نقرأ . وأكبر الظن أن هذه الظاهرة لن تحدث عند تعليم الكبار الذى تعتزمه اليوم

حكومتنا ، فالشخص الكبير لا بد من أن يتحرك تفكيره بما يقرأ ، وبخاصة إذا اختير له من القراءات ما يثير اهتمامه الشخصي ، ويلابس ظروف حياته فيشعره بفائدة ما يقرأ . وسوف يزداد شغفاً إلى إجادة القراءة بفضل ما يلقن من مبادئ الثقافة الشعبية التي تشق الحجب عن بصيرته ، فيحس بآفاق جديدة تنتشر بها حياته ، حتى لكأنك تفك عنه أغلالاً ، سيدرك عندئذ أنها كانت توثقه على غير وعي منه ، وإذا به يسعى إلى أن يتمكن من الوسيلة التي حررته . ومن هنا تظهر الصلة المتينة القائمة بين مكافحة الأمية الأبجدية والأمية العقلية ، وتأثير إحداهما في إنجاح الأخرى

والأمية العقلية محوها لا ريب أشق وأبعد مدى من محو الأمية الأبجدية ، وإن خيل إلينا عكس ذلك ، فقد يقول قائل : إن باستطاعتك أن تجمع الأميين وتخاطبهم بلغتهم العامية عما تريد أن يعلموا وإذا بك تبدد الجهل من عقولهم ، وهذا قول لا يصح إلا في ظاهره . فقديماً قال مفكرو الإغريق : « إن تثقيف الأطفال — والأميون في هذا حكمهم حكم الأطفال — لا يستطيعه غير الفلاسفة » والسبب في ذلك بين ، فالمعلم لا بد له من خيال قوي ليستطيع أن يخرج عن نفسه ليحاذي عقلية من يخاطب ، ثم إنه ليس أشق من تبسيط المعرفة ، وذلك لاستهداف المبسط في أغلب الحال لأحد أمرين : الغموض أو الثرثرة . ومن هنا ترى أن كتب التبسيط العلمية الجيدة لا يكتبها عادة في أوروبا غير كبار العلماء الذين هضموا المادة حتى أصبح حديثهم عنها أشبه ما يكون بذكريات حياتهم الخاصة

وأيا ما يكون الأمر فهذان النوعان من الأمية باستطاعة حكومة حازمة أن تكافحهما أنجح الكفاح ، ولكن ثمة النوع الثالث وهو أمية المتعلمين فذلك ما يحير اللب ، حتى لأحسب أن تلك الأمية من أدوائنا العميقة التي اجتمعت لتأصيلها أسباب عاتية لا ندري كيف السبيل إلى علاجها

ولأمية المتعلمين ثلاثة مظاهر : الانتهاء من التعليم الدراسي بفائدة ضئيلة ، وعدم تنمية كل صاحب فن لمعلوماته الفنية بعد التخرج ، وأخيراً ضعف الثقافة العامة عند معظم المتعلمين ، بل وإهمالها أحياناً إهمالاً تاماً

الخروج من التعليم بفائدة ضئيلة له ما يشابهه في حياتنا العضوية ؛ فنحن جميعاً لا نتمثل من الغذاء كل ما فيه من عناصر القوة ، حتى لترى من الناس الضعيف برغم ما في شهيته منهم ، ومنهم القوي على ما به من اقتصاد في الغذاء . والقدرة على تمثل المعرفة للطبع فيها دخل كبير ، ولكنه ليس كل شيء ؛ فمناهج الدراسة وقدرة الأساتذة تفعل في ذلك الأعاجيب .. وليس من شك في أن الثمرة الحقيقية لكل تعليم صحيح هي ما يخلف في النفس من رواسب تمتزج بملكاتنا ، حتى تصبح جزءاً منها ، وأما المعلومات التي نحملها كودائع نسلمها لأوراق الامتحانات إسلاماً لا رجعة فيه ؛ فذلك ما لا يمكن أن يسدد إدراكاً أو يهذب ذوقاً أو يرهف إحساساً . والمتعلم لن يصل إلى ما يجب من تمثل المعرفة إلا إذا أوتى من الخيال ما يستطيع معه أن يتصور في كل حين مواقف الحياة التي من الممكن أن يستخدم فيها كل نوع من المعرفة التي يتلقاها ، وبفضل هذا الخيال يمد الصلات بين العلم والحياة . ونحن لا نملك هذه القدرة على نسبة سواء في مراحل حياتنا المختلفة ، ولا أدل على ذلك من أن نعود بعد أن يستوي إدراكنا إلى أبسط كتب الدراسة نقرأها من جديد فنجد أننا كنا واهمين عندما اعتقدنا ونحن صغار أننا قد انتزعنا كل ما بها وفهمناه على وجهه . بل إن الكتب التي نقرأها مرة واحدة ونحن كبار نستطيع أن نعود إليها أو إلى الجيد منها فنعثر فيها دائماً على جديد لم نفطن إليه أو غامض لم نحسن فهمه ، وكل ذلك فضلاً عما نستوحيه من تلك الكتب . ومن الثابت أن الكتاب وسيلة للتفكير الأصيل قدر ما هو مستودع المعرفة ، وياويل قارئ سلبي لا يقف من الكتب إلا موقف المتلقي . ولقد اتفق لكاتب هذا المقال أن

لاحظ غير مرة فروقاً شاسعة بين المتعلم المصرى والمتعلم الأوربى . فشبابنا المتعلمون أغلبهم لا نحس فى حديثهم بمعارفهم إيماناً بما يقولون، أو على الأصح يرددون حتى ليتضح أن كل ما يذكرون ليس إلا رهائن فى نفوسهم لا يعرفون سراً لاحتفاظهم بها، ولا يرون لها صلة بالحياة أو فائدة من إثرائها بله إخضاعها وتوجيهها . ولقد يكون أحدهم واسع الذاكرة ولكنك مع ذلك لا تعدم أن تحس بضيق إدراكه ، حتى لكأنه حبيس فيما يردد مستعبد له ؛ وكل تلك مظاهر لأمية أخطر من أمية العوام . والغربى على العكس من ذلك إيجابى فى تفكيره ، معارفه حية لأنها وقود لتفكيره ، ومن هنا تتسع حيلته فى الحياة وتشتد ثقته بنفسه ، فلا يرهب مجازفة ولا يقعده عجز عن البدء فى كبار الأمور يخطط سبلها ويوفر لها أسباب النجاح . عجيب أن يتخرج متعلمنا عالة على الحياة ويتخرج متعلمهم عنصراً فعالاً فى خلق تلك الحياة

وذوو المهن منا قل من يتابع منهم سير المعرفة فى مهنته ، وذلك لأنهم لا يلبثون بمزاولة العمل أن ينزلوا إلى الآلية التى لا تستطيع تجديداً ، حتى فى تفاصيل المهنة . والسر فى ذلك ، هو أنهم لا يقدرون — لكسل أو إعياء — قيمة المعرفة النظرية فى مهنتهم قدرها الحق ، ونحن الآن فى عالم تعقدت فيه وسائل العمل والإنتاج ، وأصبحت تستند إلى أسس نظرية لن تتقدم مهنة بدونها ؛ ونحن لا نلق التبعة كلها على متعلمينا فمنهم المرهق المهموم بتبعات الحياة المادية كالمدرس، ولكن إلى جانب هؤلاء كم ترى من موظفى الدواوين الذين طغى الكسل على حياتهم فتسكعوا كالدواب ، وكم ترى من أطباء ومحامين لم يترك لهم جشع الحياة فراغاً ، يطالعون فيه جديداً أو يجيدون فهم قديم ، تلقاهم فتدهش لآفاقهم المحصورة ومعارفهم الضامرة لا فى ثقافتهم المهنية فحسب ، بل وفى ثقافتهم الإنسانية العامة ، تلك التى لا بد أن تستند إليها معارفهم الفنية إذا أريد لها أن تنمى قدرتهم على تكييف النفوس والحكم على مواقف الحياة حكماً صحيحاً ؛ وهذه أيضاً أمية لا نجد لها مثيلاً فى الغرب حيث يؤمن كل ذى مهنة أن توقفه عن القراءة مميت لمهنته مجفف لنفسه ، وأنه لن يستطيع المنافسة فى ميدان الحياة ما لم يتابع مكتشفات المهنة وثقافتها النظرية متابعة حارة مستمرة ونصل إلى ضعف الثقافة العامة ؛ وهذا الضعف كما رأينا شديد الصلة بالتعليم وبالثقافة المهنية على السواء . ونقصد بالثقافة العامة كافة أنواع المعرفة الأدبية والتاريخية والفلسفية التى لا تتصل بمهنة ولا تؤدى إلى استغلال مادى مباشر . وفى هذه الظاهرة ترى ببلادنا ما يفزع حتى لتحسب أننا فى أرض لم تتسرب إليها بعد معانى الحضارة الحقيقية . ففى أوروبا مثلاً من المستحيل أن تلقى موظفاً أو طبيباً أو مهندساً أو محامياً يجهل مؤلفات كبار المفكرين من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين . وأما فى مصر فمن المستحيل أن تلقى من بين من ذكرنا من يعرف تلك المؤلفات فى غير النادر الذى لا حكم له . ومن أشنع ما يهولك أن ترى سادتنا لا يستحون من جهلهم ، بل يظهرون من عدم الاكتراث ، إن لم يكن الاحتقار الكاذب لتلك الثقافة الحرة ، ما يحزن . ومن عجيب الأمر أنهم لا يحلمون حتى بما سيجدون فى تلك الثقافة من عون على مزاولة مهنهم مزاولة صحيحة ، وهم يكادون يجهلون أنهم يعيشون فى وسط اجتماعى وأنهم يعملون فى صلب الحياة . وليس من شك فى أن أحدهم لن يفهم وسطه الاجتماعى أو ينفذ إلى نفوس من يحيطون به أو يستطيع علاج مشاكل الحياة مالم يتسع أفقه وتشحذ ملكاته الإنسانية بالثقافة الواسعة الحرة ، ولكم من مرة لقينا بأوروبا طبيباً أو محامياً يحدثك أن نجاح مهنته لا يتوقف على معلوماته الفنية فحسب ، بل لا بد له من أن ينهض على فهم صحيح لنفسية المريض أو الخصم أو القاضى ، وسبيلهم إلى ذلك الفهم هو مواصلة القراءة فى ميادين البحث الإنسانى . ثم هب أن الثقافة العامة لن تجدى فى الحياة العملية ، أليست هى المنبع الأول لمتع الحياة ، أليست هى دليل التحضر وارتفاع الإنسان عن مستوى الحيوان الأعجم ؟ ألا فلنذكر قول المفكر الفرنسى العميق جورج ديهامل : « المكاتب العامة لا تكفى حاجات الناس ، ولذا فتلك كل منهم — مهما كان فقيراً ومهما ضعف استقراره — مكتبة صغيرة هى كنزه الذى يعتز به . فكل إنسان يشعر بالحاجة إلى أن يجد فى متناوله وتحت بصره وسائل حياته ، وهو يقتنيها لا لأن الكتاب هو أخص زينات المنزل ، ولا لأنه ينشر فى الأماكن التى يحليها عبيراً أليفاً نافذاً من الروحية ، بل لأنه يجد فيها ما يركن إليه فى ساعة ضلال أو انحلال أو شك أو فراغ نفسى . ولتتصور ماذا تكون حياتك فى بيت مريح ، ولكنه خال من الكتب ، إنك لن تلبث حينئذ أن تحس بالنفرة وضيق الصدر »

محمد مندور

ثقافة أبي العــــلاء

للأســـتاذ دريني خشبة

لم يحى أحد من الشعراء حياة صـدق صريح لا مواربة فيه ولا خداع كما حيي أبو العلاء ... ولم تـكن حياة أحد قصيدة من الشعر المـكلوم المكتوم الحزين الباكي الناقم كما كانت حياة أبي العلاء ... ولم يعبس أحد للحياة تلك العبوسة الطويلة المظلمة التي غبرت ثمانين عاماً ، كما عبس هذا التنوخي أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، آكل البُلْسُن والبَلَس[1]؛ ولم يثقف شاعر نفسه بكل ما استطاع أن يثقفها به ممـا وصلت إليه يده وقدرته كما فعل المعري ؛ ولم يأخذ أحد نفسه بما أخذها به أبو العلاء من شدة وجد وصرامة ، فقد عاش طول حياته منطوياً على نفسه ، عزوفاً عن الناس ، نباتياً لا يذوق اللحم ، صوّاماً لا يفطر إلا في العيدين كما يحدثنا الأستاذ متز[2]، مستعلياً عما فطرنا الله عليه من حياة وتناسل ، حابساً نفسه في مائة سجن من شذوذه الذي يصادفك في كل شيء . . . في شعره وفي نثره وفي أخباره وفي ثقافاته وفي اختلاف الناس فيه . . . والسجن المؤبد في العرف الحديث هو ما زاد على العشرين عاما ، إلا أننا لم نسمع عن سجن مؤبد زاد على الخمسين إلا في حياة أبي العلاء ، وكان مع ذلك سجناً اختيارياً حبس الشاعر فيه نفسه عن طواعية ... فلم يضق به ... ولم يزور عنه ، ولم يشك منه لمخلوق ، بل كان له وفياً ، وبه حفياً .

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ، ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

وإذا قال لنا المعري إن سجونه كانت ثلاثة فهو يقول هذا تجوّزا ، لأنه دعا نفسه رهين المحبسَيْن ، وهو في الحقيقة رهين مائة محبس أو تزيد ... فالمعري لا يلقاك إلا في سجن ، ولا يحدثك إلا في سجن ، ولا يسخر بك ويستهزئ منك إلا في سجن ، لأن كل عادة من عاداته سجن ، وكل طبع من طباعه سجن . وهو يفتَنُّ في ابتكار السجون التي كان مأخوذاً بحبس نفسه فيها . فأنت تقرأه في الفصول والغايات فلا تفهمه ، ولا تعرف ماذا يريد أن يقول ، لأنه يختبئ منك وراء جدران سجنه الغليظة السميكة التي بالغ أشد المبالغة في غلظها وجعلها سميكة ، لأنه تعمد ذلك ، وسعى إليه . . . إنه لا يريد أن تفهمه في سهولة ويسر كما تفهم سائر الناس ... لأنه ليس كسائر الناس ... وأنت كذلك تقرأه في لزومياته فيخيل لك الغرور أنك تفهمه ، مع أنك لا تفهم مما يقول شيئاً . . . إنه يختبئ منك ويستخفي وراء سجن يشبه هذا الجحيم الذي صوره في رسالة غفرانه ... سجن كله دركات مثل دركات جهنم ، من فـكرة في صدر البيت ، تنفيها فـكرة في العجز ، ومن رأى في البيت الأول يضربه رأى في البيت الثاني ، ومن عقيدة في هـذه القصيدة تلطمها عقيدة أخرى في التي تليها ... كل ذلك في ألفاظ خبيثة يخيل إليك أنها حوشية . ألفاظ تـكاد تصرفك عن قراءة هذا الذي سماه أبو العلاء شعراً ، وما هو في نظرك بشعر . . . بل هو في نظرك كلام لا ينتمي إلى اللغة العربية التي عرفها الناس لغة راقصة ضاحكة طروبا . . . لا لغة عبوساً متجهمة تجهم تلك الثاكل التي وقفت بشاطئ اليم تبكي بنيها الذين ابتلعتهم لجته ، ولما يلفظهم عُبابه !!

ثم أنت تقرأه في رسائله الـكثيرة المطبوعة التي نفحني عمي — شفاه الله وأطال بقاءه —[1] بنسخة منها منذ أكثر من ربع قرن فلم أعن بقراءتها إلا حينما سمعت الناس يلغطون بذكر أبي العلاء ، ويملأون الدنيا ضجيجاً فرحين بعيده الألفي . فلا تـكاد تفهم سطراً مما يقول ، ولا تـكاد تعرف فحوى رسالة

(١) العدس والتين ، وفيهما يقول أبو العلاء :

يقنعني بلسن يمارس لي فإن أتتني حلاوة فبلس
فلس ما اخترت إن أروح من يسار قارون عفة وفلس

(اللزوميات جـ ٢ ص ٥٥)

(٢) الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ١١٠

(١) أعتذر عن هذا الحديث الشخصي الذي ساقني إليه شجون القول

واحدة من تلك الرسائل الكثيرة التي كان يرد بها على مناظريه ، فيلجمهم ، ويخرسهم أبد الدهر …

فما هذا كله الذي جشم أبو العلاء نفسه من وعورة الألفاظ والتراكيب ؟ وما تَصَيُّدُه ذاك كله لشوارد الكلمات وأوابدها ، إن صح أن تكون في الكلمات أوابد ! يجب أن نتلمس العلل والأسباب لتلك القيود التي قيد بها أبو العلاء قراءه . . . ولم يتقيد هو منها بشيء كما يتوهم الكثيرون …

إذن ، فقد نشأ أبو العلاء بمعرة النعمان في أسرة من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والقضاة وسراة النـاس … جدوده قضاة وعلماء ، وأعمامه قضاة وعلماء وشعراء ، وأبوه قاض شاعر رقيق الديباجة اسمه أبو محمد عبد الله ؛ وقد أعطانا ياقوت الحموي في معجمه (حـ ٣ ص ١٠٩ — دار المأمون) نموذجا من شعره في رثاء أبيه ، جد أبي العلاء ، حيث يقول :

إن كان أصبح من أهواه مُطرحاً
بباب حمص فما حزني بمطرح
لو بان أيسر ما أخفيه من جزع
لمات أكثر أعدائي من الفرح

ثم أخوه قاض عالم ، وفقيه شاعر ، ولي القضاء بعد أبيه ، واسمه أبو المجد ، وكان أكبر من أبي العلاء سناً ، وقد أثبت لنا الحموي نموذجاً رائعاً من شعره في الزهد ، يبين لنا إحدى وشائج النسب في الأدب بين الأخوين الشقيقين ، إذ يقول :

كرم المهيمن منتهى أملي لا نيتي أجر ولا عملي
يا مفضلا جلت فواضله عن بُغيتي حتى انقضى أجلي
كم قد أفضت على من نعم كم قد سترت على من زلل
إن لم يكن لي ما ألوذ به يوم الحساب فإن عفوك لي

فهذا شعر جيد نجد له أصداء كثيرة في اللزوميات ، ولا عجب أن يكون للأخ الأديب أثر في أخيه الأديب . ولأبي العلاء أخ شقيق آخر ، كان يكثر من أشعار الغزل ، اسمه أبو الهيثم ، ومن شعره في الشمعة :

وذات لون كلوني في تغيره وأدمع كدموعي في تحدرها
سهرت ليلي وباتت لي مسهرة كأن ناظرها في قلب مسهرها

ثم يعدُّ لنا ياقوت أسماء كثيرة لامعة من أسرة أبي العلاء كانت تشتهر بالفقه والعلم والأدب والشعر … لكنه يحسبها كلها من أسرة أبيه ، ولا يذكر لنا اسما واحداً من أسرة والدته ، فيستدرك ذلك الميمني في كتابه «أبو العلاء وما إليه» فيسرد لنا أسماء كثيرين من أخوال أبي العلاء الذين مدحهم وذكر أياديهم عليه في كثير من شعره الوارد في ديوانه «سقط الزند» مما يدل على حفظه لجميلهم وشكرانه لهم بعد وفاة أبيه وهو في الرابعة عشرة من عمره … ويصيب التاريخ خرس شديد في هذه المرحلة الحزينة من مراحل سني أبي العلاء ، فهو لم يحدثنا بشيء عن صلة أبي العلاء بأخوته أو عمومته أو بني عمومته بعد تلك الكارثة التي كانت أشد وبالا عليه من العمى الذي أصابه في الرابعة من عمره . . . وهو لم يذكر لنا إذا ما كان أحد من أخوانه كان لا يزال حياً يرزق بعد وفاة هذا الوالد البار الذي كان يولي أبا العلاء من عطفه وبره وعلمه بما ينسيه فقدان بصره … أو ماذا كانت العلة في ترك أبي العلاء وشأنه ينفق عليه أخواله حتى في رحلته إلى حلب ، وإلى أنطاكية ، وإلى اللاذقية وطرابلس ، طالباً للعلم ، واكتساباً للأدب ، وتفقها في اللغة ، على العلماء والأدباء وفي دور الكتب ؛ حتى رحلته إلى بغداد كانت على نفقة أخواله ، كما يحدثنا بذلك الميمني ، وكما يشير إليه الدكتور طه حسين في «ذكرى أبي العلاء» … ولكن أحداً لا يحدثنا عن علة اتصال المعري بأخواله هذا الاتصال الحبيب العجيب ، ثم انصرافه عن أخوته وعمومته . . . وليس معقولا أن تكون المحبة الطبيعية بين بني البطون وحدها سبب ذلك ، وما يكون من عداوة بين بني الظهور .. لن يكون هذا سببا كافيا ولا معقولا أبداً . . . إن والد أبي العلاء لم يترك له ثروة تذكر . . . وكان كل دخله ثلاثين ديناراً يغلها له أحد الأوقاف من أسرته لأبيه ، كان يدفع منها نصفها لقارئه كل عام . فأين كان أخوته ؟! وأين كان هـذا الثبت الطويل من أسماء القضاة والعلماء والفقها الذين أحصى ياقوت منهم طرفا ولم يحص أطرافا ؟! هنا يصمت التاريخ . . .

ولا بد أن يكون لصمته سر فظيع في نشأة أبي العلاء الأولى ،

حول فلسفة نيتشه

ثورة على القطيع

للأستاذ زكريا إبراهيم

لم يقتصر نيتشه على مناهضة أصحاب النزعة العاطفية المثالية ، بل لقد حاول أيضاً أن يناهض أصحاب النزعة العقلية المتطرفة ؛ فحمل على « العلماء » الذين يؤمنون بالعلوم الوضعية ويرون فيها شفاء ومقنعاً للفكر الإنساني ، وحمل أيضاً على « الفلاسفة » الذين يؤمنون بالعقل ويعتبرونه المعيار الوحيد للحقيقة . وبين هؤلاء الذين لا يصدرون في تفكيرهم إلا عن « العقل » ، وأولئك الذين لا يصدرون إلا عن « القلب » ، وقف نيتشه موقف أستاذه شوبنهور ، فجعل الصدارة للارادة ، وقدم القوة على الفكر والعاطفة ، فالإرادة عند نيتشه هي جوهر الوجود ، وكل ما في الوجود إنما هو تعبير عن هذه الإرادة

غير أن الإرادة قد تفهم إما بالمعنى الفردي أو المعنى الجنسي ؛ وهذا المعنى الأخير هو ذلك الذي يحرص عليه الديمقراطيون والاشتراكيون ، فيخضعون الفرد للجماعة . ولكن نيتشه يتمرد على « غريزة القطيع » ، ويعلن سيادة الفرد المطلقة في نظام الطبيعة ، على نحو ما أعلن رجال عصر النهضة

وقد انقسم عصرنا الحاضر كله إلى طائفتين : طائفة الاشتراكيين ، وطائفة الفرديين ؛ وهاتان الطائفتان قد تشكلت كل منهما في نهاية الأمر بصورة « إنسانية » . أما النزعة الرومانتيكية فإنها في الواقع قد اتجهت إلى عبادة الشخصية ، وإن كانت قد قدست على وجه الخصوص تلك التي لا تخضع إلا لقانونها فقط ، أعني تلك التي لا تتقيد إلا بالشرعة التي استفتها قوتها الخاصة ، متمثلة في الهوى المنطلق ، أو الإرادة التي لا ضابط لها . وقد ترتب على هذه النزعة ، أن ظهرت الفردية المتطرفة التي أفضت في النهاية إلى ظهور المذاهب « الفوضوية » . ووجدت في الوقت نفسه نزعة رومانتيكية اشتراكية وديموقراطية ، على يد بيير ليرو ، وفيكتور هيجو ، وجورج صاند ، وميشيليه ؛ وهذه أشاعت في المجتمع مبادئ السعادة ، والحرية الشاملة ، والإخاء ، والمساواة . إلى آخر تلك المبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية . أما نيتشه فقد رأى في كل هذه النزعات انحرافاً وانحلالاً ، ولذلك فقد عاد إلى النزعة الفردية البدائية ، ونصب « الأنا » أو الذات ، ضد المجتمع بأسره . وبدلاً من تلك الديموقراطية التي تهدد بالمساواة بين الجميع ومحو كل الاختلافات والفروق ، أو تلك الاشتراكية الشعبية التي تفني الفرد لحساب المجتمع ، نجد نيتشه يدعو إلى أرستقراطية جديدة يعارض بها كل تلك المذاهب الديموقراطية والاشتراكية والفوضوية ، ويعتبرها سبيل الخلاص الوحيد ، فيستبدل بالرجل المتوسط المساوي لغيره من الناس ، الرجل الكامل أو « الإنسان الأعلى » Üermensch والرجل المتوسط الذي يحمل عليه نيتشه هو ذلك الإنسان

ولا بد أن يكون لهذا السر أثره الفظيع كذلك في ثورة أبي العلاء وتبرمه بالدنيا وتجهمه للحياة وضيقه بالناس ، وتسفيهه لمعتقداتهم التي لم ينتفع بها أهله من أبيه في علاقاتهم بهذا الفتى الأعمى المحروم من العون ، المتقلب في البلاد ، الضارب بين قرى الشام ، المعجب بأساتذته من رهبان ذلك الدير باللاذقية يدرس عليهم الإنجيل والتوراة ، والفلسفة ، كما درس على أبيه الرؤوف الرحيم البار القرآن واللغة والتفسير والفقه والعروض ، وكما درس طرفاً لا يمتد به من الحديث على هذا الرجل المدعو يحيى بن مسعر (١) الذي لم يستطع أن يشعر قلب أبي العلاء حلاوة الإيمان ، فأسلمه بجهله إلى الشك والحيرة

ترى ! هل يستطيع أحد أن يكشف لنا عن ذلك السر ؟

« للحديث بقية » دريني خشبة

(١) الميمني : أبو العلاء وما إليه ص ٥١

الوضيع الذي ينساق مع القطيع ، على طريقة خِراف بانورج[1] Les moutons de Panurge . أما ذلك الذي ينطوي على نفسه ، ويفزع إلى الوحدة لكي يعيش كالنجم الغارق في السكون ، فهو في نظر نيتشه الرجل القوي المبدع : « إن الأحداث العظيمة لا تنشأ إلا بعيداً عن الجماهير والأمجاد ، فكل من ابتدعوا القِيَم الجديدة قد انتبذوا لأنفسهم مكاناً قصياً ، على منأى من العامة ، وبعيداً عن الأمجاد » والرجل الممتاز إنما هو ذلك الذي يهرع إلى الوحدة ، وينفرد بنفسه ، لكي يحيا كتلك « الدوحة التي تشرف على البحر في سكون ، وتصغي إلى هديره في صمت » !

لقد يصرخ به القطيع قائلاً : « إن من فتش فقد ضل ، وما الوحدة إلا خطيئة » ، ولكنه يمضي غير آبه بصوت القطيع الذي يهيب به ، لأنه يعلم أن صوته نداء العبودية يستصرخه أن يبقى ، وصوت الوحدة نداء الحرية يستصرخه أن ينطلق ! أجل ، إن الرجل الممتاز لم يُخلَق لكي يسير وراء القطيع ، بل لكي يكون ثورة على القطيع ، وناراً حامية تُصلَى بها الجماهير ! فليس على الرجل الممتاز أن يخضع لحكم العامة ، بل عليه أن يخضع لحكم نفسه فحسب . وليس من واجب الرجل المبدع أن يأخذ بما يُمليه عليه قانون السواد الأعظم ، بل إن من واجبه أن يتخذ من إرادته قانوناً له ، فيشرّع لنفسه الخير والشر . وليس ينبغي للرجل القويّ أن يمد يده متسرّعاً لمصافحة من يلتقي به في طريقه ، بل ينبغي له إذا التقى بتلك الحشرات التي يتحلّب ريقها بالسم ، أن يسارع إلى وحدته ، حتى لا تمتد إليه السموم الخبيثة التي تنفثها حشرات المجتمع !

فالرجل الممتاز إذن هو ذلك المتوحد الذي يعتزل الناس لكي يعيش بعيداً عن المجتمع ، منطوياً على نفسه ؛ وأما الرجل الضعيف فهو ذلك الذي يشعر بحاجته إلى الاجتماع بالناس ، والانضمام إلى القطيع . ولذلك يقول نيتشه : إن الأقوياء ينزعون إلى الانفصال والتفرّد ، على حين ينزع الضعفاء إلى الاتحاد والتجمع . والرجل الممتاز – كما يقول زرادشت – هو ذلك الذي ينفر من المجتمع ، ويأنف من الجماعة ، ويحلّق بجناحيه فوق السحاب ، فترمقه أعين الحاسدين ، وترشقه نظرات الحاقدين . وليس بدْعاً أن يثور الناس على مثل هذا الرجل ، فإن من دأب العامة أن تتمرد على كل رجل مبدع يعزف بنفسه عن غمار الناس : « إنك لتعلو عليهم وتسمو فوقهم ، ولكنك كلما ازددت علوّاً ، ازددت صَغاراً في أعينهم الحاسدة . أما ذلك الذي يحلّق بجناحيه فوقهم ، فليس أبغض إليهم منه » !

ولكن ، أليس الإنسان حيواناً اجتماعياً يميل إلى التجمع بفطرته ، وينفر من العزلة بطبيعته ؟ ألم يَقُلْ أرسطو إن حياة العزلة لا تتهيأ إلا لإله أو حيوان ؟ إذن فكيف يزعم نيتشه أن « الرجل القويّ » هو « الرجل المتوحّد » ؟ وكيف يذهب إلى أن الضعفاء هم الذين ينزعون إلى الاتحاد والتجمع ؟ . يجيب نيتشه على هذا فيقول : إن الإنسان حيوان مفترس متوحد ، فالأقوياء الذين هم سادة النوع البشري يميلون بالضرورة إلى العزلة والتفرُّد ، وينفرون من كل نظام يضطرهم إلى الاتحاد والتجمع ، وبعبارة أخرى فإن الحياة الاجتماعية في نظر نيتشه معارِضةٌ للطبيعة ، لأن الإنسان حيوان غير اجتماعي بفطرته . وإذا كان الأقوياء قد يكوّنون مجتمعاً في بعض الأحيان ، فإن ذلك يرجع إلى رغبتهم في القيام بحركة عدوان مشترك ، يرضون بها إرادة السيطرة التي توجد لديهم جميعاً . ولكنّ شعورهم الفردي في معظم الأحيان ، ينفر من تلك الحركة المشتركة ، ويتأذّى من ذلك العمل الجمعي . أما الضعفاء فإنهم يرتّبون أنفسهم في طبقات متلاصقة ، إرضاء للحاجة التي يشعرون بها نحو هذا التجمُّع ، وبذلك تَلْـقَى غريزتهم لذتها القصوى الكاملة

ولكن ، هل من الحق أن التجمع دليل الضعف ؟ أليس التاريخ الطبيعي شاهداً على فساد هذا القول ؟ ... إن الواقع أن الحيوانات التي توجد لديها « غريزة القطيع » قد استطاعت

(١) تتلخص قصة خراف بانورج (وهو شخصية هامة من الشخصيات التي نجدها في مسرحية لرابليه) في أن بانورج قد اشتبك في صراع مع التاجر دندينو Dindenaut الذي أهانه إهانة كبيرة ، فأراد أن يثأر لنفسه منه ، ومن ثم فقد ابتاع منه واحداً من خرافه ، وأطلقه في الماء ، فسرعان ما ألقت سائر الخراف بنفسها في الماء ، وراء ذلك الخروف ، واحداً بعد الآخر ؛ وأسرع التاجر يعدو وراءها حتى إذا لم يبق منها غير واحد ، أخذ يعدو محاولا أن يلحق به ، فلما ألقى الخروف بنفسه في الماء ، قفز التاجر نفسه وراءه ، وبذلك اكتملت هذه الصورة المضحكة التي تصور لنا مدى الانسياق للجماعة ، تحت تأثير المحاكاة !

اللغة القانونيـــة
في الأقطار العربية
ووجوب تصفيتها وتوحيدها

الأستاذ عدنان الخطيب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٤ — إن النظام القضائى مختلف اختلافاً بيناً فى الأقطار العربية ، ولكننا نجد فوق هذا اختلافاً فى الأسماء والمصطلحات، فالمحكمة العليا هى محكمة النقض والإبرام فى مصر وهى محكمة التمييز العليا فى سورية ، وفى العراق هى محكمة تمييز العراق ، والمستشار فى المحاكم المصرية هو العضو فى محاكم سورية والعراق، إلى ما هنالك من أسماء كالقاضي والحاكم والمدعى العام أو العمومى والنائب أو المحامى العام أو الأفوكاتو العمومي ووكيل النيابة ومعاون النائب الخ ...

٥ — لنتجاوز كل هذا إلى القوانين الرئيسية فنجد أننا لم نتفق على اسم قانون واحد منها :

(ا) فقانون العقوبات فى مصر والعراق ، ولبنان أخيراً ، ما زال قانون الجزاء فى سورية

(ب) وقانون أصول المحاكمات الحقوقية فى سورية والعراق هو قانون المرافعات المدنية فى مصر وقانون أصول المحاكمات المدنية فى لبنان

(ح) قانون تحقيق الجنايات فى مصر هو قانون الأصول الجزائية فى العراق ، وأصول المرافعات الجزائية فى فلسطين ، وأصول المحاكمات الجزائية فى سورية

(د) القانون المدنى فى مصر هو قانون العقود والموجبات

أن تخرج من معركة تنازع البقاء ظافرة منتصرة بينما خرجت الحيوانات المتوحشة مغلوبة منكسرة . وها هي ذى الحيوانات القوية تعيش جماعات ، فتكوّن القِردَةُ لنفسها أسراً ، على الرغم من أنها لا تقلُّ فى ذكائها عن النمورة والفهود . وها هو ذا التاريخ يُظْهِرنا على أن الإنسان القديم لم يكن يعيش وحده ، بل كان يعيش فى مجتمع . فليس من الصحيح إذن أن قوة الكائن الحى هى التى تولّد فيه الميل إلى الوحدة والتفرُّد ، بل الصحيح أن الكائنات القوية تجنح إلى الاتحاد والتجمع ، وتنفر من الانفصال والتفرُّد . وهل كانت الفِيَلة حيوانات ضعيفة ، لأنها تحب الاجتماع ؟ أو هل كان رجال « ما قبل التاريخ » ضعفاء ، لأنهم كانوا يميلون إلى التجمُّع ، كما سبق لنا القول ؟...
إن سيد الكون الذى دان له كل شىء فى الطبيعة ، والذى قهر سائر الأجناس الحيوانية ولا يزال يقهرها ، إنما هو « الإنسان » الذى يعتبر الحيوان الأول بين طائفة الحيوانات القطيعية ؛ فهل علينا من حرج إذا قلنا إن الإنسان حيوان اجتماعى بفطرته ؟

لقد أراد نيتشه أن يتمرد على المجتمع ، لكى يقتصر على عبادة الذات وتقديسها ، ولكن هل نسى نيتشه أن ما يسميه « ذاته » إنما هو فى جانب كبير منه ، تراثٌ اجتماعى تعاقبت على تكوينه الأجيال ؟ فماذا عسى أن يكون نيتشه ، وماذا عسى أن تكون ذاته ، إذا جردناه من كل ما وضعه فيه الآخرون ، وإذا استبعدنا من نفسه كل ما أودعه فيها المجتمع ؟ إن نيتشه حين يتوهم أنه يتأمل ذاته ، فهو فى الواقع إنما يتأمل العالم كله ؛ وهو حينما يظن أن فى إمكانه أن ينفرد بنفسه ويعتزل الناس ، لا يزال بالرغم من ذلك محتفظاً فى أعماق نفسه بكل أصداء القرون الخالية . ففى أبعد أغوار نفسه ـ مهما تنكّر الماضى ـ ترنُّ أصداء الأجيال الغابرة . وهل يستطيع الفرد أن يفكّر إلا إذا استعان بأفكار السابقين ، واستند إلى أعمال المتقدمين ؟ إذن فمن الجهالة والعقوق ، أن يتنكّر الإنسان للجنس البشرى كله ، وأن يكفر بكل شىء ، اللهم إلا فرديته وما يجىء معها من أثرة وعُجْب وحمق وغرور ! ولو أن نيتشه تدبّر الأمر فى جوٍ حر لا تفسده نزعة أرستقراطية متطرّفة ، لما تردّد فى أن يقول مع جوّيو Guyau : « أنا لست مِلكاً لنفسى ؛ لأن كل موجود ليس بشىء من غير الكل . فالوجود بمفرده لا شىء ! »

زكريا ابراهيم

فى لبنان بينما ما زالت مجلة الأحكام المدلية فى سورية والعراق تقوم مقامه

(ﻫ) قوانين الملكية العقارية والتسجيل العقارى فى مصر وسورية ولبنان ما زالت قوانين الطابو والأراضى فى العراق .

٨ — كيف يمكن توحيد المصطلحات القانونية

لا بد لتوحيد المصطلحات القانونية من هيئة علمية عليا تمثل جميع الأقطار العربية ، تقر المصطلحات والمعربات اللازمة للكلمات الأعجمية ، ثم تتخذ الوسائل اللازمة لنشرها وتعميمها والاعتماد عليها فى تشريع كل قطر من الأقطار

يقوم اليوم فى مصر مجمع لغوى كريم ، وبالرغم من أنه يضم بعض كبار رجال القانون . فإن تمثيله للأقطار العربية ، من الناحية القانونية مفقود ، مما يدعونا للتأكيد بعدم إمكان الاعتماد عليه كهيئة عربية عليا لإقرار المصطلحات القانونية ، لقد قدم إلى هـذا المجمع فى دورة ماضية[1] أحد كبار رجال القانون فى مصر[2] رسالة تتضمن مصطلحات القانون لإقرارها كتعريب رسمى للمصطلحات الفرنسية ، وبالرغم من أن هـذه الرسالة جاءت محكمة فى أغلب المصطلحات الواردة فيها ، بليغة فى بعض مبتكراتها ، فإن فيها مجالاً للبحث والمناقشة ، وليسمح لى المؤتمرون الكرام بإبداء بعض الملاحظات على هذا المشروع ليتأكدوا من صحة قولى ، وسيكون لى أجر واحد إن لم أصب فيها وأحظ بأجرين

ا — لا شك أن من المرغوب فيه الإقلال ما أمكن من استعمال أكثر من لفظة واحدة للدلالة على لفظة أعجمية واحدة . ولو كان فى العربية مترادفات كثيرة لها ، ولكن هذا لا يعنى أن نكتفى باستعمال لفظة عربية واحدة لكلمتين أعجميتين مختلفتين إذا أمكن تعريب كل واحدة منهما بلفظة مستقلة ، فكلمتا École و Doctrine مثلاً عربهما صاحب المشروع بكلمة (مذهب)

(١) الدورة التاسعة ١٩٤٢ — ١٩٤٣

(٢) الأستاذ السيد عبد الرزاق السنهورى

دون تفريق ، واستعمال كلمة عربية أخرى (كمدرسة) أو (طريقة) ، ولماذا نعرب عبارة École de L'exégèse بـ (مذهب الوقوف عند النص) ولا نعربها (بمدرسة الوقوف عند النص) إذا لم نستسغ أن نقول « أهل النصوص مثلاً »

ب — يضع المشروع لفظة (لوائح) المستعملة فى مصر ترجمة لكلمة Réglements الفرنسية ، بينما قد يكون من المستحسن أن نعربها بلفظة (الأنظمة) المستعملة فى العراق

ج — ويعرب صاحب المشروع Décret-Loi بـ (مرسوم بقانون) ، بينما قد يحسن تبنى الاصطلاح السورى (مرسوم تشريعى)

د — لم يرد واضع المشروع أن يفرق لنا بين كلمتى Droit و Loi فعرب كلتاهما بلفظة (قانون)

ﻫ — كما أنه ترجم كلمة OBligation بـ (الالتزام) ثم لم يأتنا بكلمة عربية غيرها مقابل لفظة Concession

و — وردت فى المشروع جملة (وقف الدعوى الجنائية المدنية) تعريباً لجملة Le criminel Tient le civil en état وأرى أن الاصطلاح المعروف فى سورية (الجنائى يعقل المدنى)[1] يفوقها جرساً وجمالاً

ز — وقد ترجمت عبارة Droit commercial بـ (القانون التجارى) بينما جاءت ترجمة Droit commercial maritim بـ (قانون التجارة البحرى) ، ولست أدرى لماذا عدل عن الصفة إلى الإضافة ؟ ولماذا وصف القانون بالبحرية دون التجارة نفسها ؟

ح — وأخيراً نجد كلمة Transporteur عربت بـ (متعهد النقل) ومن الممكن الاكتفاء بكلمة (الناقل)

ولكن أنى لمثل هـذه الملاحظات أن تقلل من فخر صاحب المشروع بابتكاراته الخالدة والتى منها :

عقد الإذعان تعريب Contrat D'Adhésion

عقد المساومة مقابل Contrat de Gré-à-gré

(١) انظر فائز الخورى الحقوق الجزائية ونصه (الجزائى الخ)

عقد التمهين مقابل Conbat D'Apprentissage

هذا إلى جانب كثير من التعاريب الموفقة فى إيجازها بالنسبة لـما يقابلها مثل :

الخلف العام مقابل Ayant cause à titre universel

والتسامح بدلاً عن Preuve par commune renommée

٩ — تصفية اللغة القانونية من الكلمات الدخيلة والاجنبية

ليس توحيد المصطلحات كل ما يتعلق باللغة من الأمور التى يجب أن نعمل لها ، فهناك كلمات وألفاظ دخلت على لغتنا القانونية بعامل النفوذ أو التشريع الأجنبى ، وهناك مشرعون وقضاة لا ينفكون عن إلحاق كلمات أجنبية بالـكلمات العربية تعيينا لها وتحديداً

فإذا كانت الكلمات الدخيلة انتشرت بين العامة ؛ فهذا لا يعنى أن المشرع يجب أن ينزل إلى مستواهم بدل أن يرشدهم ويصحح لغتهم ، وإلا لوجب أن يصوغ أوامره أيضاً باللغة العامية ، وإذا كانت الألفاظ العربية غير متفق عليها ، فيجب أن يبدأ الاتفاق عليها من هذا اليوم أيضاً . وإذا كان فى البلاد العربية تشريع لغته الأصلية غير اللغة العربية ؛ فيجب أن لا نسمع بقانون ، ولا نرى بعد اليوم قانوناً ، يطبق فى بلد عربى وضع بلغة غير لغة أبناء البلاد الأباة

أى عذر يمكن أن ينتحل للعراق رمز العروبة الخفاق ؟ إذا تناول أحدنا قانونه التجارى الذى صدر فى مثل هذا الشهر من العام المنصرم[1] ، فوجد فيه هذه الطعنات المؤلمة (البورصات) و (السيف) و (القومسيون) و (البوليصة) و (الآفال) و (الـكمبيال) و (الجك) و (الـكمبيو) و (بوردورو) ، و (ليـكيداسيون) و (كونه سمان) و (ماركة) و (فاكتور) و(ناولون) و (السيقورطة) و (أكسيون) و(أوبليكاسيون) و (دوكروار) و (ره سى بى سه) و (واران) و (بروتست) و (الوخ) و (ره تريت)

لا بل إن المشرع العراقى استعمل فى قانونه فعل « التجيير » ومشتقاته فبلغت (١٣٥) طعنة فى ظهر « التظهير » العربية

وفى مصر رأس البلاد العربية ، قضت ظروف القرن الماضى باستعمال كلمات دخيلة فى التشريع ؛ فسمي المجلس البلدى لمدينة الأسكندرية مثلاً بـ (القومسيون)[1] ، ولـكن المشرع المصرى ما زال يستعمل (القومسيون) بدلاً عن (المجلس) حتى السنوات الأخيرة[2] وهو ما زال يفسر قوائم الأسعار بـ « كتالوجات »[3] وهو الذى استعمل لفظى (مصرف ومصارف) فى تشريع يبحث عن تسليف الزراع[4] لم ينشأ لهم إلا (بنكا) ولا يفتأ فى لوائحه بترديد (البنك) و (البنكير)[5] ، والمياومين (جوبر) وعمليات (الأربيتراج) Arbitrage و اربور — Report والحاسبين الحلفين أو القانونيين Chartered Accountants والبطاقات (الفيشات)[6] ومقدار التخفيض Bonification ، والمطالبات الناشئة عن Fourbaudage الغش والتلف الداخلى والخلط[7]

ونحن إذا رأينا الضرورة تقضى باستعمال كلمة دخيلة أو أجنبية فى تشريع ما فلنكتف باستعمالها مرة واحدة فى كل تشريع ، وأى داع يبرر استعمال (البرود كاستنج) كلما وردت جملة (جهاز الاستقبال) ، ولـماذا تكرر لفظة (درو باك) تسع

(١) نشر فى الوقائع العراقية عدد ٢١١٣ بغداد فى ٢٣–٨–٩٤٣

(١) فى ٥ يناير ١٨٩٠ شكل « قومسيون » بلدى الأسكندرية بأمر عال .

(٢) انظر مثلا قرار ٢ يناير ١٩٣٥ باعادة التنظيم الادارى لبلدية الأسكندرية .

(٣ مرسوم ٢٦ يونية سنة ١٩٣٠

(٤) مرسوم بقانون ٥٤ فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٥) انظر مثلا مرسوم ٣١ ديسمبر ١٩٢٣ بالموافقة على لائحة بورصات الأوراق المالية .

(٦) انظر مثلا مرسوم ٢٩ أكتوبر سنة ٩٣١ المتعلق بالبورصات

(٦ انظر مثلا قرار ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٠ المتعلق بالبورصات أيضاً

مرات مثلاً فى قرار يبحث عن رد الرسوم[١] ، أو كلمة (كنترات) سبعة عشر مرة تفسيراً لكلمة عقود[٢]

هذا فى التشريع أما فى القضاء فيكفى أن تتصفح أية مجموعة من قرارات المحاكم المصرية لنجد أن كلمة (الخطأ) كثيراً ما تذكر وتعقبها بأحرف لاتينية كلمة Erreur ، وكلمة (غلط فى الواقع) وبجانبها Erreur de fait وكلمة (غلط فى القانون) قبل Erreur de droit

وجملة (الخطأ فى تطبيق التعريف) ، مفسرة بجملة Par fausse application des Tarifs ، وكلمتى (الرضاء التحليلى) تلحق بهما لفظة Analytique

وجملة (إرادة التعبير الخارجى) متبعة بمعناها الفرنسى Volonté de la Déclaration[٣]

هذا فى مصر والعراق ، أما فى سورية قلب العروبة النابض فلا نستطيع أن نحكم على المشرع الوطنى الآن ، لأنه لم يخرج لنا بعد قوانين مهمة فى هذا العهد الجديد ، ولكن الغيارى على اللغة العربية الفتية تألموا من أن مشروعاً بتعديل مرسوم اشتراعى قديم وضعه مخضرمون فى وزارة المالية السورية مر على مجلسنا النيابى فى دورته الأخيرة ، وخرج قانوناً يحوى هذه الألفاظ (بوليصة) و (بوالص) و (مانيفيستو) و (كمبيالات) و (بريم) و (كونكورداتوا) و (جيرو) و (كتلوغات)[٤] بينما لبنان العربى الأشم أخذ يضرب لنا أمثالاً رائعة . فى قانونه التجارى الأخير[١] تجد المشرع حرص كل الحرص على عدم تشويه النسخة العربية منه بالألفاظ الأعجمية ؛ فقد استعمل دفتر (صور الرسائل) بدلاً عن دفتر (الكوبيا) ودفتر (الجرد والموازنة) بدلاً عن دفتر (البلانشو) و (طابع المصنع) بدلاً عن (الماركة) وهو لم يستعمل كلمات (كولكتيف) ، و (قومانديت) و (أنونيم) توضيحاً (للتضامن) و (التوصية) و « المغفلة » إلا نادرا ، وهو قد استعمل لفظة « التعاون » بدلاً من « الكوبراتيف » لا ، بل إنه أتانا بمصطلحات عربية جديدة ؛ فقد استعمل « المؤونة » بدلاً عن « مقابل الوفاء » و « الصك المشطوب » عوضاً عن « الصك المسطر » و« والمشاهد العامة » بدلاً عن « السينما والمسارح » واكتفى « بالتظهير » عن « التجيير » و « بالاحتجاج » عن « البروتستو » ، و « وكيل التفليسة » عن « السنديك » ولم يستعمل أبداً لفظة « كونكورداتو » لإيضاح معنى لفظة « الصلح أو المصالحة » .

١٠ — مقترحات

إذا كان للحرب القائمة من فضل ؛ فلا شك أن إليها يعود فضل هذه الروح العربية التى عمت جميع الأقطار ، وجعلت « الوعى القوى » يتنفس بين أيدى أطبائه الأشاوس ، وما هذا المؤتمر إلا ثمرة من ثماره الطيبة ، فعلينا أن نتضافر لما فيه مصلحة الآمال المشتركة والرغبات الموحدة ، ومما يسهل مهمة توحيد المصطلحات الحقوقية وإحلال اللغة العربية محلها اللائق الأخذ بالمقترحات التالية :

١ — إقرار تأليف معجم قانونى وانتخاب لجنة تدرس السبل المؤدية إلى ذلك

٢ — تبادل المؤلفات القانونية بشكل واسع

٣ — فتح فصول خاصة فى المجلات القانونية لبحث

---

(١) انظر مثلا قرار ١٨ أكتوبر ٩٣١

(٢) لائحة بورصة مينا البصل منشورة بقرار ٢٩ أكتوبر ١٩٣١

(٣) هذا مبعثه كما سبق التلميح إليه وضع التشريع بلغة أجنبية ، ثم ترجمته إلى اللغة العربية ترجمة غير دقيقة ، ورأى رجال القانون فى مصر « أن العبرة فى النصوص الفرنسية » راجع هذا المعنى فى شروح القانون المدنى ، وخصوصاً هامش صفحة ٨٠٠ من نظرية العقد للسنهورى ٩٣٤ القاهرة .

(٤) قانون تعديل المرسوم الاشتراعى رقم ٣ الصادر سنة ٩٣٣ وقد نشر فى الجريدة الرسمية مؤرخا ٣١ — ٥ — ١٩٤٤

(١) قانون التجارة اللبنانى صدر فى ٢٤ — ١٢ — ١٩٤٢ ونشر بالجريدة الرسمية ملحقاً بالعدد ٤٠٧٥ فى ٧ — ٤ — ١٩٤٣

بمناسبة مهرجان ذكرى المعرى

كتاب الانصاف والتحرى

فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى

لابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

ذكر صاحب «فوات الوفيات» فى ترجمة ابن العديم : أنه ألف كتاباً فى الدفاع عن أبى العلاء المعرى سماه «كتاب الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى» .

وذكر هذا الكتاب أيضا صلاح الدين بن أيبك الصفدى فى كتاب «نكت الهميان فى نكت العميان» أثناء ترجمة أبى العلاء المعرى ، ونقل عنه جملة صالحة ، تلخص رأى ابن العديم فى المعرى ، وكذلك فعل السيوطى فى «بغية الوعاة» . وذكر اسم الكتاب ، ونقل عنه خلاصة رأى ابن العديم فى المعرى ، وعده فى سف المدافعين عنه .

* * *

ابن العديم مؤلف هذا الكتاب هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضى أبى الحسن أحمد بن العديم ، مؤرخ حلب ، ومحدثها ، وفقيهها ، وأديبها . ألف تاريخ حلب — بغية الطلب — فى نحو أربعين مجلداً[1]. وهو الذى يقول فيه ياقوت الحموى :

«... إن الله عز وجل عنى بخلقته ، فأحسن خلقه وخلقه ، وعقله وذهنه وذكاءه ، وجعل همته فى العلوم ومعالى الأمور ، فقرأ الأدب وأتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فجوده ، وأنشأ النثر فزينه ، وقرأ حديث الرسول فعرف علله ورجاله ، وتأويله وفروعه وأصوله ، وهو مع ذلك قلق البنان بما تحوى اليدان ، وهو كاسمه كمال فى كل فضيلة ، لم يعتن بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا جاء فيه مبرزاً ، مشهور ذلك عنه ، لا يخالف فيه صديق ، ولا يستطيع دفاعه عدو»[2]. ولد فى حلب سنة ٥٨٨ ونشأ بها ، ثم رحل إلى بغداد ومصر أكثر من مرة واحدة ، ولما جاء التتار إلى حلب سنة ٦٥٨ جفل إلى مصر مع من جفل ، ثم رجع إلى حلب بعد خروج التتار منها ، فوجدها على حال سيئة من الخراب والدمار ، فرجع

(١) ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٦٠ وكذلك الشيخ شهاب الدين محمود فى تاريخه

(٢) انظر ترجمة ابن العديم مفصلة فى معجم الأدباء «ج ١٦ ص ٥ — ٥٧» .

وفى أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ «ج ٤ ص ٤٦٤ — ٤٩٩»

المصطلحات الجديدة ومناقشتها

٤ — السعى لدى الحكومات لإيجاد مكتب عربى للمشاورات القانونية مهمته تقريب التشريع ما أمكن والعمل على توحيده إن أمكن

٥ — العمل على توحيد مناهج الدراسة القانونية فى البلاد العربية وإيجاد رابطة متينة بين كليات الحقوق العربية

٦ — توصية الحكومات بالاعتناء بلغة التشريع والعمل على استبعاد الكلمات البالية أو الدخيلة ، ولنا فيما عملته سورية فى إقرار لفظة «التنفيذ» بدلاً عن «الإجراء» ، وفيما قامت به مصر من إبدال كلمة «العدل» بكلمة الحقانية[1] أسوة حسنة وأمل كبير فى الوصول إلى أهدافنا القومية وآمالنا المنشودة كاملة غير منقوصة والله الموفق .

«دمشق» عدنان الخطيب

(١) سنة ١٩٣٩

إلى القاهرة ، وأقام بها إلى أن توفى بها سنة ٦٦٠ من الهجرة ودفن بسفح المقطم .

* * *

يعد كتاب ابن العديم فى إنصاف شيخ المعرة من الكتب النادرة الوجود ، بل ربما كان من تلك التي ذهبت بها الأيام ، فلا عين لها ولا أثر ، غير ما حفظته كتب التاريخ والتراجم من أسماء ومقتطفات

لم يعثر إلى الآن — فيما أعلم — على نسخة كاملة من هذا الكتاب القيم النفيس ، وكل الذى عثر عليه منه – من نحو عشرين سنة – نسخة ناقصة من آخرها ، ومن قبل آخر الموجود منها ، ولا يعلم مقدار النقص فى كلا الموضعين . فقد ذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبى فى تاريخه « أعلام النبلاء » بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ٧٧) : إنه عثر على كتاب « الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى » . عثر عليه مخطوطاً فى خزانة كتب سعادة مرعى باشا الملاح ، وأنه نسخ من هذا المخطوط نسختين ، أهديت إحداهما المجمع العلمى العربى فى دمشق ، واحتفظ بالأخرى لنفسه ، وبعد أن نص الأستاذ الطباخ على موضع النقص فى هذه النسخة التى عثر عليها قال : إنه يدمج الموجود من هذا الكتاب ضمن كتاب أعلام النبلاء . لعل ذلك يدعو بعض ذوى الهمم للبحث والتنقيب عن نسخة تامة منه

وقد نشر الأستاذ الطباخ الموجود من كتاب إنصاف المعرى لابن العديم فى الجزء الرابع من أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ص ٧٨ – ١٥٤) من نحو عشرين سنة

وإنى أنشر اليوم – بمناسبة حفلات ذكرى العيد الألفى لمولد المعرى التى تقام الآن فى دمشق – على صفحات الرسالة الغراء مقدمة كتاب الإنصاف على أن ألخص فصوله وأبوابه الموجودة فى فرصة أخرى . أنشر هذه المقدمة راجياً – كما رجا الأستاذ الطباخ من قبل – أن يكون فى هذا النشر الحافز لهمم محبي البحث للتنقيب عن نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس . حتى إذا أمكن الحصول عليه ونشر ، كان فى ذلك أبلغ تكريم لذكرى المعرى بمناسبة عيد مولده الألفى

* * *

وإلى القارئ الآن مقدمة كتاب الإنصاف نقلاً عن النسخة التى نشرها الأستاذ الطباخ :

« ... وبعد فإنى وقفت على جملة مصنفات عالم معرة النعمان أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنوناً من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطامح فيها سقطة ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة ، ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه ، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصد له ، فجعلوا محاسنه عيوباً ، وحسناته ذنوباً ، وعقله حمقاً ، وزهده فسقاً ، ورشقوه بأليم السهام ، وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرفوا كلمه عن مواضعه ، وأوقعوه فى غير مواقعه ، ولو نظر الطاعن كلامه بعين الرضا ، وأغمد سيف الحسد من عليه انتضا ، لأوسع له صدراً وشرح ، واستحسن ما ذم ومدح ، لكن جرى الزمن على عاداته فى مطالبته أهل الفضل بتراته ، وقصدهم بإساءاته ، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ، فقصدوه بالطعن والإساءة . واللبيب مقصود ، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكل ذى نعمة محسود ، ومن سلك فى الفصاحة مسلكه ، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه ، وقصد فى كتبه الغريب وأودعها كل معنى غريب ، كان

قبر أبي العلاء المعري

للأستاذ صبحي الياسيني

كان يوم الجمعة في الثالث من ربيع الأول عام ٤٤٩ للهجرة، حين حضرت أبي العلاء الوفاة، وانطفأت تلك الجذوة المتقدة يوماً مشهوداً عند أهل المعرة، إذ وفد إليها غير الفضلاء والعلماء والخلق الكثير، أربعة وثمانون شاعراً، وقفوا حين مواراته الرمس يرثون عبقريته الفذة وعلمه المضيّع

واليوم وقد انقضى ألف عام على مولده يعيد التاريخ نفسه فيقف مثل هذا العدد وأكثر منه من الشعراء والأدباء جاءوا من أقاصي البلاد على قبره ليستعيدوا ذكرى صاحب هذه الشعلة المتقدة التي مرت عليها القرون فما زادتها إلا وميضا واستعاراً .

والمعروف أن جثة المعري نقلت إلى ساحة لإحدى دور أهله ودفن بها، وهي واقعة في الطرف الغربي من المعرة، وقد كانت هذه الدار في عهده على ما يظهر من انقطاع آثار البناء ووجود القبور الأثرية بتاليها من الجهة الغربية، واقعة في أقصى البلدة باتجاه الغرب، وكانت قبور أهله وبني عشيرته وتلامذته قبل إنشاء الضريح الحالي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، إلا أنه كما حجب اسمه أسماءهم وفضله فضلهم في حياته، كالشمس إذا ظهرت غاب كل كوكب؛ فكذلك حجب قبره قبورهم، واضطر المهندسون الذين قاموا بتشييد الضريح إلى إزالة القبور الواقعة بجوار قبره، وحفظت حجارتها وشواهدها في حديقة خلفية لضريح أبي العلاء .

للطاعن سبيل إلى عكس معانيها، وقلبها وتحريفها عن وجوهها المقصودة وسبلها، ألا ترى إلى كتاب الله العزيز المحتوى على المنع والتجوّز الذي لا يقبل التبديل في شيء من صحفه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كيف أحلى جماعة من أرباب باطل الأقاويل، تأويله على غير وجوه التأويل، فصرفوا تأويله إلى ما أرادوا، فما أحسنوا في ذلك ولا أجادوا، حتى أن جماعة من الكفار، وأرباب الزلل والعثار، تمسكوا منه بآيات، جعلوها دليلا على ما ذهبوا إليه من الضلالات، فما ظنك بكلام رجل من البشر، ليس بمعصوم إن زل أو عثر، وقد تعمق في فصيح الكلام، وأتى من اللغات بما لا يتيسر لغيره ولا يرام، وأودعها في كلامه أحسن إبداع، وأبرزها في النظم البديع والأسجاع، إذا قصده بعض الحساد، لحمل كلامه على غير المراد، وقد وضع أبو العلاء كتاباً وسمه «زجر النابح» أبطل فيه طعن المزرى عليه والقادح، وبين فيه عذره الصحيح، وإعلانه الصريح، ووجه كلامه الفصيح، ثم أتبع ذلك بكتاب وسمه «بحر الزجر» بين فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر، فلم يمنعهم زجره، ولا اتضح لهم عذره، بل تحقق عندهم كفره، واجترأوا على ذلك وداموا، وعنفوا من انتصر له ولاموا، وقعدوا في أمره وقاموا، فلم يرعوا له حرمة، ولا أكرموا عاهده، ولا راقبوا إلاًّ ولا ذمة، حتى حكوا كفره بالأسانيد، وشددوا في ذلك غاية التشديد، وكفّره من جاء بعدهم بالتقليد

فابتدرت دونه مناضلاً، وانتصبت عنه مجادلاً، وانتدبت لمحاسنه ناقلاً، وذكرتُ في هذا الكتاب :

نسبه ومولده، وتحصيله للعلم وطلبه، ودينه الصحيح ومذهبه، وورعه الشديد وزهده، واجتهاده القوى وجده، وطعن القادح فيه ورده، ودفع الظلم عنه وصده.

وسميته «كتاب الإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعرى»

وبالله التوفيق والعصمة، وإليه المرجع في كل وصمة، وهو حسبي ونعم الوكيل» .

حرصت على نقل هذه المقدمة الطويلة المسجوعة بنصها ليستطيع القارئ تكوين فكرة عامة عن هذا الكتاب النفيس ويعرف روح مؤلفه فيه، وأرجو أن أستطيع تلخيص فصوله التي عثر عليها في فرصة قريبة

برهان الدين الداغستاني

يروى التاريخ أن أبا العلاء أوصى أن يكتب على قبره البيت التالى :

هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد

وهذا البيت ليس له وجود على قبره ذى الكتابة الكوفية المشجرة ، ولا يوجد على شاهد الضريح سوى الكلمات التالية : « هذا قبر أبى العلاء بن عبد الله بن سليمان » . وقد محا الزمان كلمات : « هذا قبر أبى » ، وكتب على ظهر الشاهد : رحمة الله عليه . وقد وجد بجوار ضريحه حجر مستطيل الشكل بقياس ٥٠ × ٣٠ مسطر عليه هذان البيتان بخط ثلث حديث :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
نفيسة صاغها الرحمن من نطف
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها
فردّها غيرة منه إلى الصدف

وقد علمت من ثقة فى المعرة أن هذا الحجر حديث ، جدد عام ١٩٠٣ بديل آخر مكتوب بالخط الكوفى أتى عليه الزمان فجدده أهل الفضل .

وقد كان ضريح المعرى فى وضعه السابق على غير الاتجاه الصحيح ؛ فكان منحرفا انحرافا قليلا نحو الشمال الغربى ، وذلك على ما يظهر بسبب الزلازل أو انخفاض الأرض فعدّل الآن إلى الاتجاه الصحيح .

أما الضريح القديم فقد كان حالة قبيحة من الإهمال ذكرها مؤرخو المعري حتى قام فى عام ١٩٠٣ المرحوم نورس باشا الحراكى ، وهو رئيس للمعرة فى ذلك العهد ، وبنى عند قبره غرفة يعلوها قبة وبجوارها مصلى جعل منه مدرسة للأولاد كان يقوم بالتدريس فيها شيخ أعمى دائماً كلما مات واحد قام آخر .

ولما فتح قبره منذ خمس سنوات لم ير فيه من آثاره إلا بقية ضئيلة كالرماد من فتات عظامه ، وقد صب الآن فوقها الأسمنت لتكون قاعدة قوية تحت حجارة القبر الثقيلة

وقد كان فى النية نحت حجارة جديدة لقبره لتقوم مقام الحجارة الأثرية القديمة وتتناسب مع شكل البناء الجديد ، إلا أنه صرف النظر أخيراً عن هذا العمل بعد القيام به ، وكان ذلك الأوفق والأنسب .

وكان أمر بناء الضريح تكتنفه الصعوبات لعوامل شتى منها تبدل الحكومات المتعاقبة على البلاد السورية فكأن رغبة أبى العلاء التى أبداها فى ترك قبره وعدم الاحتفاء به إذ يقول :

لا تكرموا جسدى إذا ما حل بى
ريب المنون فلا فضيلة للجسد

أو يقول :

إن التوابيت أجداث مكررة
فجنب القوم سجناً فى التوابيت

تحققت بقوة خفية لا يمكن التغلب عليها

إلا أنه تقرر فى موازنة الحكومة السورية لعام ١٩٣١ مبلغ من المال كاف لبناء الضريح ولم ينفذ المشروع ، كما أنه تقرر ذلك أيضاً فى موازنات الأعوام التالية ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ ، وأضافوا على ذلك فى عام ١٩٣٢ مشروعاً جديداً هو طبع طوابع بريدية موشحة باسم أبى العلاء يعود ريعها لإنشاء الضريح فنفقت الطوابع والقبر على ما هو عليه

وكانوا فى كل عام يرصدون مبلغاً لإنشاء الضريح ، ولا ينفذ العمل ، حتى جاء عام ١٩٣٩ ، إذ خصص ١٥٠٠٠ ليرة سورية فى موازنة الحكومة السورية (فصل ٧ مادة ١ فقرة ٤) وتقرر البدء بالعمل ، وكان ذلك يوم الأحد فى ١٨ تشرين الثانى ٩٣٩ عيداً أهلياً عند سكان المعرة الذين احتفلوا بنفس الوقت احتفالاً شائقاً بإنشاء شركة كهربائية أهلية مساهمة ، وشركة مياه إذ

أنارت الكهرباء بلدتهم لأول مرة ، وجرت المياه النقية إلى قسم من دورهم

وكان المظنون أن الأمور أخيراً سوف تسير سيراً حسناً لولا أن اندلاع الحرب جعل مواد البناء من أسمنت وحديد مرتفعة الثمن ارتفاعاً فاحشاً . كذلك سارت اليد العاملة تطلب أجوراً فاحشة ، فاستنكف الملتزم عن البناء ، وقامت الحكومة بعد أخذ ورد بنقل الإلتزام إلى رجل آخر مع وضع اعتمادات مالية إضافية تتصاعد حسب ارتفاع الأسعار ، وقد انتهى العمل فى أوائل هذا العام

والضريح فى وضعه الحالى عبارة عن فسحة دار مزروعة بالرياحين يدخل إليها من أروقة محيطة بها من الغرب والشمال ، وفى صدر هذه الدار قبر أبى العلاء موضوع تحت إيوان جميل ، وخلف القبر مسجد يدخل إليه من بابين على طرفى القبر ، ومكتبة على جانب المسجد للغرب ، وخلف المسجد حديقة صغيرة محفوظ بها الحجارة الأثرية التى وجدت حول القبر

وقد سبق أن قامت بلدية معرة النعمان بشق وتخطيط شارع كبير من شرق البلدة إلى غربها بحيث جملته يمر مباشرة أمام ضريحه ، وقد عبدته وجملت الأرصفة على جانبيه حتى صار من الشوارع اللائقة بمدينة كبيرة ، واسمه شارع أبى العلاء ، كما خصصت البلدية قطعة أرض مناسبة فى مدخل البلدة لإقامة نصب تذكارى فيها لأبى العلاء

وقام أهالى المعرة بنصيب طريف من هذا التمجيد ، فأسموا فندق أبى العلاء ومطعم أبى العلاء ، وهم يملأون القلل بالماء ليلة الجمعة ويضعونها طوال تلك الليلة بجوار قبره ليشربها فى اليوم التالى من بلد ذهنه من صبيان المدارس اعتقاداً منهم أن الذهن يصفو من بلادته بهذا الماء ، وهم يقسمون بالمعرى كما يقسمون بمقام النبى يوشع الموجود عندهم ويتعصبون له ، ولا شاعر عندهم أو فيلسوف سباق للمعرى فى شاعريته أو حكمته ، وهم أول من يسوق لك الدليل على ذلك من أشعاره وآثاره

إن بلدة معرة النعمان اعترافاً منها بفضل أبى العلاء المعرى عليها تدعو جميع الأدباء والفضلاء لزيارة قبره فى المعرة يوم ٢٧ أيلول ١٩٤٤ احتفاء منها بمرور ألف عام انقضت على مولده .

صبحى الياسيفى

قائمقام معرة النعمان

دار الكتب الاهلية

تشترك فى إحياء العيد الألفى للفيلسوف أبى العلاء المعرى

فتقدم لأول مرة

رسالة الهناء

لأبى العلاء المعرى

جزءان فى سفر واحد

شرح وتحقيق الأستاذ الكبير

كامل كيلانى

الذى حبب الأدب العلائى إلى كل قارئ

كما حبب القراءة إلى كل ناشئ

الثمن ٣٥ قرشاً صاغاً ــ وللبريد ٦٣ مليما

يطلب من الناشر

دار الكتب الأهلية

بميدان الأوبرا ــ ت ٤٩٠٦١

وفى السودان من مكتبة كردفان بالأبيض

وفى العراق من مكتبة الزوراء بسوق السراى ببغداد

حلم الفجر ...

للأستاذ سيد قطب

عجبا ! أنتِ ما تزالينَ حُلْمِي   ومِثالي وفِكرتي ونَشيدي
ما تزالين في خيالىَ رَمْزاً   لِرجاء منوَّر من بعيدِ
ما تزالين حافزاً لجُهودي   ما تزالين غايةً لوُجودي
أتحاشاكِ بالجفاء وبالياْ   س فأرتد ساخراً من جهودي !
أتحاشاكِ كالجحيم وكالنَّسْ   م ولكن إليكِ يُفضي شرودي

* * *

عجبا ! تركدُ الحياةُ فأنسا   كِ قليلاً في غمرتي ورُكودي
فإذا دبّتِ الحياةُ تراءيـ   ـتِ كطيفٍ مستيقظ من هُجُود
وتراءتْ ترفُّ حولكِ أطيا   فُ لما كان بيننا من عهودِ
كلُّ ما لامستْ يداكِ وما مـ   ـسَّ هوانا من قيِّم وزهيدِ
أتملاه بالخيالِ وبالحسـ   ـسِّ كذكرى من عالم موعودِ

* * *

عجبا ! بعد كلِّ ما كان مِنَّا   من صراع دام وجهد جهيدِ
أتمنَّاكِ في المنام وفي الصَّحـ   ـو تمنِّي العقيم وجهَ الوليدِ
وإذا سِرْتُ في الزحام فعيني   لخيال مستشرف من بعيد !
لهفةٌ تملأ الحنايا حنيناً   لِرجاء مجسّم مفقــود !
أنتِ حُلم الحياة في صحوة الفجـ   ـر فأنّى لحلمنا من مُعيد

(حلوان)   سيد قطب

القريب البعيد

للأستاذ حسين سرحان

ظَلْتُ ألقاكِ ليلتين وأخرى   فمضت ليلةٌ ، ومرّت ليال
والتوانى كأنهن شهور   والليالي تُربي على الأحوال
وقف الدهر وقفة الطَّود وقد أي (م) وأمسيتِ قاب قوس حيالى
أي قرب ؟ لكنه أبعد البعد (م) وأنأى من النجوم الموالى
لو تقرّبت باليدين محياكِ (م) لأقربت[(1)] منك غير مبال
والزمان الرّجيم أضحكُ من قر   د على فرط خيبتي وضلالي
يتحدّى صبابتي وغرامي   ويُماري عزيمتي واحتمالي
وتلظيت من صدًى وزلال الماء (م) عندي وخالص الجريال
ضاق ذرعي بما أجن وضاقت   عن أمانيَّ حيلة المحتال
ونبا بي رحب المكان وأملت (م) (الأفاريز) أيما إملال
موفضاً ناظراً إلى غير شيء   سالياً ، لا ، فلست عنك بسال
وخلا البال ما عداكِ فما يخطـ   ـر لي كائن سواك ببال
ومضى القلب لا يُنيب إلى وا   ل ولا يستجيب للعذال
خير ما قيل فيك ما ضاء فيه (م) إسمك ضوءا كدرة اللآل
وسوى ذاك فرية وهُراء   لا أبالي بها على أي حال

* * *

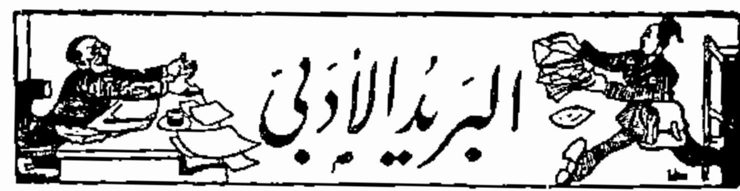
حُبٌّ بالوعد صادقاً وبه مطلا (م) وبأنفسهما ولست أغالي
وبما تخطرين فيه من الوشي (م) وما تملئينه من مجال
وبعين تراكِ أو أذن تسمع (م) نجواكِ في أرق مقال
بالأديم الذي عليه تسيرين (م) فيعلو بروحك المتعالي
بالهواء الذي يعود أريجاً (م) حين تولينه أقل احتفال

* * *

وإذا عدت تسأل البارحَ السا (م) نح عنها فما غَناء السؤال
حُلُمٌ ماتني طليحَ هواه (م) عالقاً منه في الكرى بالمحال
فإذا ما ألمّ بعد ارتحال (م) أو أجدّ الوصال بعد تقال[(2)]
فهو شيء لا تستطيع الليالي (م) والمنى أن تصوغه في مثال

(مكة)   حسين سرحان

(١) وصول الابل للماء بعد صبح خامسة
(٢) التباغض



بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة

بلغنى من أحدهم بطريق المصادفة أن بعض صحف الأقطار الشقيقة تنسب إلىّ رأياً خاصاً فى الوحدة العربية ، كما تشير إلى تهم قيل إنها صدرت منى ضد بعض الأدباء فى تلك البلاد . ولم تقع فى يدى حتى الآن صحيفة من تلك الصحف أطالع فيها تفصيل هذه الأخبار الغريبة . ولـكنى أكتفى هنا بأن أرجو من صحف البلاد الشقيقة أن تضن قليلاً بحسن ظنها فى صحة الأقاويل والإشاعات التى تنسب إلينا ، وألا تلق بالاً إلى غير ما ينشر موقعاً عليه بأسمائنا من مقالات أو تصريحات ، فإن بدعة « أحاديث المجالس » المتفشية الآن فى الصحافة الحديثة لم يبق فاصلاً بين الجد والهزل ، ولم تجعل حداً بين الحقيقة والخيال . وقد يأتى اليوم الذى أحاسب فيه أيضاً على تلك « النكات » والدعابات التى يضعونها على لسانى تحت الصور الـكاريكاتورية فى المجلات الأسبوعية ، أوما يرد من حين إلى حين فى صيغة « قال لنا الأستاذ فلان ... » كل هذا يجب أن يؤخذ مأخذاً خفيفاً ، وأن يقرأ مع الابتسام ، لا أن يجعل أساساً لحقائق يدور حولها الـكلام ... وكنت أود أن يفطن الناس إلى ذلك منذ زمن ، فلا يجعلوا مثلى مسؤولاً إلا عما يحرر بقلمه أو ما ينشر بإذنه ، ولقد بحثت فى ذاكرتى فلم أجدنى نشرت أكثر من مقالين أدبيين منذ عام ، ولم أسمح بأكثر من حديثين جديدين ، ولم تكن الوحدة العربية موضوع بحث أو سؤال ، ولا كان الأدباء محل نظر أو جدال . خصوصاً وان اطلاعى على الصحف أو الـكتب ، ومعلوماتى عن كتابها ومؤلفيها من أبناء البلاد الشقيقة هى للأسف من الضآلة بحيث لا تبيح لى الـكلام فيها . ولابد لى من وقت أعالج فيه هذا النقص ، وأتوفر على الإحاطة بالإنتاج الحديث وأصحابه قبل إبداء الرأى أو توجيه الاتهام أو إزجاء الثناء . وأملى أن يوفقنى الله إلى القيام بهذا الواجب فى القريب . فإن أقل ما ينتظر منا هو أن نـكشف للعيون عن ثمرات القرائح الناضجة فى حدائق جيراننا . تلك غايتنا . فإذا عجزنا عن إدراكها سكتنا على مضض . أما أن نتكلم بشر فهذا مالا يكون منا أبداً . وأخيراً أكون شاكراً لو تفضلت كل جريدة عربية فى كل قطر عربى بنشر هذا البيان ، إقراراً للحق فى نصابه والسلام ...

توفيق الحكيم

حرية الفكر أيضاً

تفضل حضرة أستاذنا العلامة دريني خشبة فى مقاله الأخير فى الرسالة « حرية الفـكر أيضاً » ؛ فألمع إلى كلمتى الأخيرة فى العدد الأسبق . ثم وضع لنا قانون حرية الفكر « والقول » . وزبدة قانونه : « فليعتقد من يشاء ما يشاء بشرط ألاّ يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر بها الخ . » فعجبنا كيف تكون الحرية حريةّ متى قُيِّدت بشرط أو شروط

ولأننى أعلم ، وقد ازددت علماً مما لاحظته فى سياق النقاش فى وحدة الوجود فى الرسالة ، أنه لا يجوز البحث فى هذا الموضـوع الذى اتفقت على بطلانه تعاليم الأديان الثلاثة . ولذلك حذرت سادتنا الـكتاب من التوغل فى موضوع قد بُتّ فيه منذ مئات بل آلاف من السنين لئلا ينسب إليهم الإلحاد ، وإنما رغبت أن يتجنبوا تهمة الإلحاد لأنى أشفقت عليهم من غضب الجمهور الذى قد يثور على الملحدين . وكدت أنا أقع فى نفس ما حذرت منه إذ أصبحت فى عرف أستاذنا العلاّمة درينى ملحداً أو زنديقاً لأنى أعتقد بالمادة

لا بأس أن ينعت المؤمن بالمـادة ملحداً أو زنديقاً . ولـكن ما قول أستاذنا فيما إذا اختلفت عقائد المؤمنين بالله ؟

إن أصحاب الأديان الثلاثة يعتقدون أن الله خالق هذا الوجود ومدبره . ولـكن لـكل طائفة عقيدة بالله تختلف عن عقيدة غيرها . « فالله » الإسرائيليين يوصف بأنه « يهوه رب الجنود » أى أنه قائد حربى ينصر شـعبه على أعدائهم . و « الله » النصارى ذو ثلاثة أقانيم فى واحد . و« الله » المسلمين واحد أحد لا شريك له

وقد نضيف إليهم « الله » سقراط وتلاميذه الذين يعتقدون أن الله موجود مع الكون مستقل عنه ومدبره ولكنه لم يخلقه .

وهناك عقائد مختلفة بالله فى الشرق الأسيوى وجزر الباسفيك القصوى . فمن هم الزنادقة ؟ وفى نظر من هم زنادقة ؟ وهل يحرم على أولئك المنسوبة لهم الزندقة أن يقولوا عقيدتهم . إذاً أين حرية الفكر ؟ وهى بيت القصيد في كلتى الماضية وفى هذه أيضاً

أود أن يعلم حضرة الأستاذ جيداً أنى لست أناقش فى عقيدة معينة من العقائد الدينية . ولا أدافع عن عقيدة خاصة حتى ولا عن حرية الفكر . فما دامت الحرية غير مقيدة بسلاسل ولا هى معتقلة فى السجن ؛ فلا أغضب ولا أكون شبه غاضب . ولذلك أرجو من حضرة الأخ العزيز الأستاذ دربنى خشبة أن يسحب من مقاله (غاضبون أو شبه غاضبين) لأنه فى الأبحاث العلمية لا محل للغضب عند من يعقلون ، وإذا كنت أتطفل فى مساجلته ؛ فلأنى أستلذ بحثه فأستزيده منه ، وله تحيتى .

نقولا الحداد

تعريف الوحدة

الوحدة العربية ، كلمة جذابة تطوى أطيب المعانى المستحبة عند كل الناس من جميع الطبقات ، وقد أقترب كثيراً من الحقيقة إذا قلت إن تعريفها يختلف عند السوريين والعراقيين والحجازيين واليمانيين والفلسطينيين والمصريين

لا عجب فى اختلاف معانى الوحدة العربية ولا غرابة فى ذلك ما دام القائمون بها لم يضعوا لها بعد تعريفاً يظهر الغاية ويزيل البلبلة والتضارب فى التفسير ويحد من اجتهاد المجتهدين فى إفراغ تعريفها فى أحسن الألوان وأزهى المظاهر

وليس ثمة من دليل على البلبلة والتضارب أقطع من الدليل الذى أقامه الأستاذ أسعد داغر فى صحيفة الأهرام ، وما أدراك ما هى صلة الأستاذ بجميع الداعين بالوحدة والعاملين لها ، قال فى سياق مناظرة حول هذا الموضوع « أعرف أن الوحدة التى ينشدها العرب الآن هى وحدة الروح والفكر والمصلحة والخطة ، والعمل على تحقيق آمال الأمة واستعادة مجدها الغابر لمصلحتها ومصلحة كل قطر من أقطارها ، وكل فرد من أبنائها . ومصلحة الحضارة والعمران والسلام العام . على أساس الرضا والتعاون بين جميع البلاد العربية »

هـذا الكلام وقد نقلته بنصه فى تعريف الوحدة لا يروى ظمأ المتعطشين إلى الوقوف على الحقيقة من رجال السياسة والاقتصاد ، ولا يحد من أخيلة المتخيلين الذين قد يضر الوحدة خيالهم ولا ينفع ؛ فهل للأساتذة الأفاضل أمثال عبد الرحمن عزام وخليل ثابت ومحمود عزمى وعبد الوهاب عزام ، وبقية المشتغلين بقضية الوحدة أن يضعوا لهـا تعريفاً محدود القصد والغاية بعيداً عن التعابير الشعرية والأساليب الخيالية .

حبيب الزحلاوى

إلى الدكتور زكى مبارك

مرحباً بك يا أخى مساجلاً وصديقاً وأستاذاً حر التفكير « معقد الإيمان »

خذ فى الموضوع إذن ، ورجائى أن تذكر ما قلته فى كلمتك الأولى من أنك تؤمن بنظرية وحدة الوجود كما تناولتها فى كتابك القيم ؛ فلا تنس هـذا ... ولا تنس أنك قد أيدتها فى صفحات ، ثم عدت فنقضتها فى صفحات أخرى ، فهل كنت مؤمناً بهذه النظرية فى الصفحات الأولى ، وغير مؤمن بها فى الصفحات الأخيرة ؟ ولن يفوتنى أن أسألك يا أخى عما يخيفك من دخول الإسلام فى موضوعنا ؟ أفى الإسلام نقط واهية يخشى عليه منها بصدد هذه النظرية الصادقة فى نظرك ؟ وعلى كل فخذ فى الموضوع ، واشرح لنا هذه النظرية كما تؤمن بها ونحن فى انتظار ما تقول ؛ وتقبل تحيات صديقك الذى يقدرك ، وسوف يظل إلى الأبد يقدرك

دربنى

بقية عن تيمور

كتبت فى العدد الأسبق عن « تيمور » وواضح أن التقدير الفنى — لا التسجيل التاريخى — هو الذى كنت أتجه إليه ؛ وهو الذى يتسع له مقال فى صحيفة لا فصل فى كتاب

ولما لم يكن من غرضى — فى هذه الفصول النقدية التى أكتبها هضم حق أحد ولا منح أحد أكثر مما يستحق ، لسبب من الأسباب الكثيرة التى تعصف بمن يحاولون النقد فى هذا البلد العجيب . فقد رأيت أن أنشر هذه « البقية » التى كنت أبقى تفضيلها لكتاب هو بين يدى الآن

فأحب أن أسجل لتيمور أنه واضع الحجر الأول فى محاولة « الأقصوصة » فى مصر بعد أخيه المرحوم « محمد تيمور » . وهذه الحقيقة التاريخية لا شأن لها بتقويم عمله من الوجهة الفنية . ولعل حديثى الماضى عن تيمور فى صدد كتاب الرواية والقصة والأقصوصة مجتمعين ، هو الذى أخنى مكانه التاريخى والفنى بينهم ...

فأما حين نفرد « الأقصوصة » فإننا نجد تيمور هو واضع الأساس . ولعلنا لا ننتظر ممن يخط الحروف الأولى أن يبلغ القمة ، وحسبه أن يمهد الطريق

هذا الحق التاريخى . لا يمنعنى مانع من كبرياء أو عناد ، أن أعود فأقرره لتيمور ، لأثبت له — من وجهة نظرى — ما له وما عليه . ولعل هذه الكلمة تكشف الحقيقة للكثيرين ، ممن قرأوا كلمتى الماضية ، فتأولوها تأويلاً غير مضبوط .

سيد قطب

منع النساء من لبس العمائم الكبيرة

إتماماً لما كتبه الأستاذ النشاشيبى فى (نقل الأديب) من « عدد الرسالة ٥٧٨ » من خبر النساء فى أنطاكية وأنهن يتعممن كالرجال ، وأن الرجال يلبسون السراقوجات ، أنقل ما سيأتى من كلام ابن الجزرى المؤرخ . وقد عودنا الأستاذ أن يشرح لنا غريب الألفاظ الذى يرد فى كلامه ، ولكنه لم يذكر لنا معنى « سرغوج » . وهي شارة توضع على مقدمة القلنسوة ، فيها شعر مفتول بعدد معين . تكون رمزاً لرتبة عسكرية عند المغول والأتراك حتى العثمانيين كما جاء فى قاموس شمس الدين سامى وغيره :

قال المؤرخ محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه الكبير (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) : وفى يوم الخميس لعشرين من رمضان سنة ٦٩٠ رسم نائب السلطنة بدمشق — الأمير علم الدين سنجر الشجاعى — أن لا ترجع امرأة تلبس عمامة كبيرة ، ومن خالف المرسوم غلظت عقوبتها . فامتنع النساء من ذلك على كره منهن . وكان فى المرسوم أيضاً أن لا يكتب على المناديل البسملة ولا شيء من القرآن المجيد

وروى فى كتابه المذكور عن الشيخ عماد الدين يونس بن على بن قرسق الدمشقى ، وكان والده متولى دمشق وشادّ دواوينها ، أنه قال : استتوب والدى بعض اللصوص ممن كان يخطف العمائم ، قال وبقى فى خدمته بالباب ، قال فقلت له مرة : أشتهي تحكى لى أعجب ما جرى لك فقال : اتفق أننى خرجت ليلة فوقفت فى مظلمة فما استقر بى الوقوف إلا وخطفت عمامتى ، قال فمشيت إلى بيتى وكان لى تخفيفة فتعممت بها ورحت إلى مكان آخر فما لحقت أقف إلا وقد خطفت ، قال فعدت إلى البيت وأخذت مقنعة امرأتى فتعممت بها ، والمرأة تخاصم وتحلف إن راحت مقنعتها تعرف الوالى ، فأخذتها ورحت إلى مكان آخر فخطفت المقنعة ، فقلت والله لا رحت إلى البيت إلا بشيء وخفت من المرأة ، وكان وسطى مشدوداً بمنديل فتركته على رأسى وقلت فى نفسى قد دخل الليل وما بقى إلا سقاية جيرون فجيت ودخلتها ووقفت أنتظر من يعبر ، وإذا بإنسان قد دخل وعلى رأسه عمامة كبيرة إلى غاية ، فقلت فى نفسى هذه أخطفها ، ثم إنى تركته حتى عرفت أنه قد تمكن من القعود ، وفتحت عليه الباب ، وخطفت العمامة وجريت جرية واحدة إلى بيتى ، وافتقدتها فإذا هى العمامة والتخفيفة ومقنعة المرأة التى خطفت منى تلك الليلة لا تزيد خيطاً ، وراحت ليلتى بلا فائدة لا ربحت ولا خسرت .

الادارة العامة للبلديات

قسم الطرق

تقبل عطاءات بالادارة العامة للبلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ عن توريد مواد رصف لمجلس بنى سويف البلدى . وتطلب الشروط من الادارة على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم وذلك خلاف ٦٠ مليما مصاريف البريد . ٢٧٥٧